خَصَائِصُ التَّرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مُحَمَّد أتم

١) الرَّبَّانِيَّةُ

قال الله تعالى : اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (العَلَق : ١–٥)

قال ابن عاشور : وقوله "باسم ربك" فيه وجوه. **أولها** : أن يكون افتتاح الكلام بعد جملة "اقرأ" وهو أول المقروء أي قل : باسم الله، فتكون الباء **للإستعانة** فيجوز تعلقه بمحذوف تقديره : ابتدئ. ويجوز أن يتعلق بـ "اقرأ" الثاني فيكون تقديمه على معموله للإهتمام بشأن اسم الله. ومعنى الإستعانة باسم الله ذكر اسمه عند هذه القراءة، وإقحام كلمة (اسم) لأن الإستعانة بذكر اسمه تعالى لا لذاته كما تقدم في الكلام على البسملة، وهذا الوجه يقتضي أن النبي ﷺ قال : "باسم الله" حين تلقى هذه الجملة. **الثاني** أن تكون الباء **للمصاحبة** ويكون المجرور في موضع الحال من ضمير "اقرأ" الثاني مقدما على عامله للإختصاص، أي اقرأ ما سيوحى إليك مصاحبا قراءتك اسم ربك. فالمصاحبة مصاحبة الفهم والملاحظة لجلاله، ويكون هذا إثباتا لوحدانية الله بالإلهية وإبطالا للنداء باسم الأصنام الذي كان يفعله المشركون يقولون : باسم اللات، باسم العزى، كما تقدم في البسملة. فهذا أول ما جاء من قواعد الإسلام قد افتتح به أول الوحي. **الثالث** : أن تكون الباء **بمعنى (على)** كقوله تعالى "من إن تأمنه بقنطار" أي على قنطار. والمعنى : اقرأ على اسم ربك، أي على إذنه، أي أن الملك جاءك على اسم ربك، أي مرسلا من ربك، فذكر (اسم) على هذا متعين.[1]

قال الدكتور خالد بن حامد الحازمي : القصد بالربانية : أن أحكام الإسلام وتوجيهاته مصدرها الأصلي من الرب عز وجل وليست نابعة من أهواء البشر، وهذا ما يميزها عن النظريات الوضعية التي مصدرها الهوى، والأفكار القابلة للرد والتعديل فتتغير وتتبدل حسب الأهواء والشهوات[2]

٢) الشُّمُوْلُ وَالتَّكَامُلُ

قال الله تعالى : اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا (المائدة : ٣)

قال ابن كثير : وقوله : "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" هذه أكبر نعم الله عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف ، كما

---

[1] التحرير والتنوير سورة العلق : ١

[2] أصول التربية الإسلامية ص ٤٥

قال تعالى : "وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا" (الأنعام : ١٥٥) أي : صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم، ولهذا قال تعالى : "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.[3]

قال الدكتور خالد بن حامد الحازمي : يتصف التوجيه الإسلامي بالشمول والتكامل في كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاده، وهو في شموله موضوعي، وإنساني، وفطري، وزماني، ومكاني. فهو موضوعي لأنه لم يفصل بين الدين والدنيا، بل شمل شؤون الحياة في الدنيا والآخرة. وزماني، لأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة. وإنساني، لأنه خاطب البشرية جمعا، وفطري لأنه وفق ما بين مطالب الروح والجسد. ومكاني، لأنه صالح لكل زمان ومكان، وليس خاصا بفترة زمنية أو مكان محدد.[4] وهو يشمل أيضا تنظيم علاقة الإنسان بربه وبإنسان آخر وببيئته

٣) التَّوَازُنُ

قال الله وتعالى : وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُوْنُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا (البقرة : ١٤٣) وقال أيضا : وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيْزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيْزَانِ. وَأَقِيْمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيْزَانَ. (الرحمن : ٧-٩)

قال المراغي : "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" أي وقد جعلنا المسلمين خيارا وعدولا، لأنهم وسط فليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين. وقد كان الناس قبل الإسلام قسمين : مادي لا هم له إلا الحظوظ الجثمانية كاليهود والمشركين وقسم تحكمت فيه تقاليده الروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمية كالنصارى والصابئة وطوائف من وثني الهنود أصحاب الرياضات. فجاء الإسلام جامعا بين الحقين حق الروح وحق الجسم، وأعطى المسلم جميع الحقوق الإنسانية، فالإنسان جسم وروح، وإن شئت فقل الإنسان حيوان وملك، فكماله بإعطائه حقين معا.[5]

قال الشوكاني : "ووضع الميزان" المراد بالميزان العدل : أي وضع في الأرض العدل الذي أمر به كذا قال مجاهد وقتادة، والسدي وغيرهم. قال الزجاج : المعنى أنه أمرنا بالعدل، ويدل عليه : قوله : ألا تطغوا في الميزان أي لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن، والضحاك : المراد به آلة الوزن ليتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف.[6]

قال محمد قطب : التوازن – هو سمة من سمات الإنسان الصالح – معنى واسع شامل يشمل كل نشاط الإنسان. توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح. توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته. توازن بين

---

[3] تفسير ابن كثير سورة المائدة : ٣

[4] أصول التربية الإسلامية ص ٤٧

[5] تفسير المراغي سورة البقرة : ١٤٣

[6] فتح القدير سورة الرحمن : ٧

ضروراته وأشواقه. توازن بين الحياة في الواقع والحياة في الخيال. توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس. توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية. توازن في النظم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية. توازن في كل شيء في الحياة.

٤) الإِيْجَابِيَّةُ السَّوِيَّةُ

قال الله تعالى : أَفَمَنْ يَشْمِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ (الملك :٢٢)

قال ابن كثير : وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبا على وجهه، أي : يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي : لا يدري أين يسلك ، ولا كيف يذهب ؟ بل تائه حائر ضال ، أهذا أهدى أمن يمشي سويا أي : منتصب القامة على صراط مستقيم أي : على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم، مفضى به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم.[7]

قال محمد قطب : من خصائص المنهج كذلك – وهي من سمات الإنسان الصالح في ذات الوقت – الإيجابية السوية. فمن نتائج المزج بين طاقات الإنسان كلها وربطها بعضها ببعض، أن يتحول المخلوق البشري إلى طاقة إيجابية عامة في واقع الأرض. ولكنها الإيجابية السوية التي لا تتنكب الطريق.[8]

٥) الثَّبَاتُ وَالْمُرُوْنَةُ

قال الدكتور خالد بن حامد الحازمي : في التوجيه الإسلامي ثوابت لا يمكن تغيرها أو تبديلها أو حذفها وهي القواعد الكلية والمبادئ العامة والأحكام الجزئية التي ورد فيها النص، فإنها لا تتغير ولا تتبدل، كوجوب أداء الأمانات إلى أهلها، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب رد المظالم إلى أهلها، وحرمة السرقة والغش، والربا وحرمة بيع المسلم على بيع أخيه، فإن هذا كله لا يدخله التغيير أو التبديل. ولكن المرونة تظهر في القدرة على وضع الحلول التي تطرأ في حياة الناس. والسر في مرونة الشريعة وصلاحيتها لكل ومان ومكان، أن الإسلام جاء بقواعد كلية وقيم ومبادئ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ثم وجه العلماء للنظر والإجتهاد في المسائل والحوادث الجزئية التي تستجد في إطار هذه القواعد والمبادئ.[9]

٦) الوَاقِعِيَّةُ الْمِثَالِيَّةُ

اَلَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْغَفُوْرُ (الملك : ٢)

قال محمد قطب : الإسلام يأخذ الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه. يعرف حدود طاقاته ويعرف مطالبه وضروراته، ويقدر هذه وتلك : "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" (البقرة : ٢٨٦) "فاتقوا الله ماستطعتم" (التغابن

---

[7] تفسير ابن كثير سورة الملك : ٢٢

[8] منهج التربية الإسلامية، ص ٢٩-٣٠

[9] أصول التربية الإسلامية ص ٥٠-٥١

: ١٦). ويعرف ضعفه إزاء المغريات : "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث" (ال عمران : ١٤) وضعفه إزاء التكاليف : "يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا" (النساء : ٢٨). يعرف كل ذلك فيساير فطرته في واقعها، ولا يفرض عليه من التكاليف ما ينوء به كاهله ويعجز عن أداءه : "هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج" (الحج : ٧٨). ويجعل التكليف الملزم في حدود الطاقة الممكنة. ولكنه مع ذلك لا يتركه لفطرته الضعيفة دون تقويم، فتظل وتتراجع عن موقفها إلى موقف دون. كلا ! إنه في واقعيته يأخذ الواقع الأكبر للإنسان، الواقع الذي يشمل لحظة الضعف ولحظة القوة. لحظة الهبوط ولحظة الإرتفاع. إن مزية الإنسان الكبرى هي هذا الإستعداد الدائم للصعود. الإستعداد لأن يتفوق على نفسه، ويرتفع على الواقع ليبلغ المثال. وقد لا يبلغه في كل مرة. بل قد لا يبلغه في أية مرة ! ولكنه يظل يحاول – ما دام يوجه إلى الطريق – وفي محاولته تلك يرتقي ويرتفع في الآفاق.[10]

[10] منهج التربية الإسلامية، ص ٣١-٣٢